سلسلة

تدبر القرآن الكريم

سورة الكوثر

جمع وترتيب

عبد الله عوض محمد الحسن

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فنقف بعون الله عزوجل ضمن سلسلة تدبر القرآن الكريم مع سورة عظيمة من سور القرآن الكريم هي أقل سور القرآن حروفًا وكلمات، وهي مع سورة النصر والعصر أقل سور القرآن آيات، إنها سورة الكوثر، سورة قليلة الحروف، لكنها غزيرة الفوائد، حري بالمسلم أن يتأمل هذه السورة العظيمة، وأن ينهل من معين العلم الذي أفصحت عنه.

قال الله جل وعلا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

التعريف بالسورة

♤ أسماؤها:

- سورَة الكَوْثَر.
- سورَة إنّا أعْطَيْناكَ الكَوْثَرَ.
- سورَةَ النَّحْر.

♤ نزولها: الراجح أنها مكية.

♤ عداد النزول: الخامسة عشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة العاديات وقبل سورة التكاثر.

♤ عددها: اثنان وأربعون حرفا، وعشر كلمات، وثلاث آيات.

♤ مقصدها: بيان منة الله على نبيه صلى الله عليه وسلم بالخير الكثير؛ والدفاع عنه.

آثار متعلقة بالسورة

◇ عن أنس بن مالك قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه مبتسما، إما قال لهم وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: "إنه أنزلت علي آنفا سورة". فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ حتى ختمها، قال: "هل تدرون ما الكوثر؟ "، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "هو نهر أعطانيه ربي، عز وجل، في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم فأقول: يا رب، إنه من أمتي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك" رواه أحمد في المسند (٣/١٠٢).

◇ عن أنس أنه قرأ هذه الآية ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: "أعطيت الكوثر، فإذا هو نهر يجري، ولم يشق شقا، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ، فضربت بيدي في تربته، فإذا مسكه ذفرة، وإذا حصاه اللؤلؤ" رواه أحمد في المسند (٢/٢٤٧) .

◇ عن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر، فقال: "هو نهر أعطانيه الله في الجنة، ترابه مسك، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر". فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنها لناعمة؟ قال: "أكلها أنعم منها" رواه أحمد في المسند (٣/٢٢٠) .

سبب نزول السورة

قال ابن عباس: نزلت في العاص بن وائل، وذلك أنه رأى رسول الله ﷺ يخرج من المسجد وهو يدخل، فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس، فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تحدث ؟ قال: ذاك الأبتر. يعني رسول الله ﷺ . وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله ﷺ، وكان من خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتر، فأنزل الله تعالى هذه السورة.

مناسبة السورة لما قبلها

لما كانت سورة الماعون بإفصاحها ناهية عن مساوئ الأخلاق، كانت بإفهامها داعية إلى معالي الشيم، فجاءت الكوثر لذلك، وكانت الدين قد ختمت بأبخل البخلاء وأدنى الخلائق: المنع تنفيرا من البخل ومما جره من التكذيب، فابتدئت الكوثر بأجود الجود والعطاء لأشرف الخلائق ترغيبا فيه وندبا إليه.

معاني الألفاظ الغريبة

- ﴿ ٱلْكَوْثَر ﴾: الخير الكثير، ومنه نهر الكوثر في الجنة.
- ﴿ وٱنْحرْ ﴾: واذبح ذبيحتك لله.
- ﴿ شانئك ﴾: مبغضك.
- ﴿ هو ٱلْأَبْتر ﴾: هو المنقطع أثره، المقطوع من كل خير.

التفسير الإجمالي

يقول الله تعالى لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم ممتنا عليه: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾؛ أي: الخير الكثير والفضل الغزير، الذي من جملته ما يعطيه الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - يوم القيامة من النهر الذي يقال له: الكوثر، ومن الحوض؛ طوله شهر وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء في كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة؛ لم يظمأ بعدها أبدا.

ولما ذكر منته عليه؛ أمره بشكرها، فقال: ﴿فصل لربك وانحر﴾: خص هاتين العبادتين بالذكر؛ لأنهما أفضل العبادات وأجل القربات، ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقله في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به.

﴿إن شانئك﴾؛ أي: مبغضك وذامك ومتنقصك،

﴿هو الأبتر﴾ أي: المقطوع من كل خير؛ مقطوع العمل، مقطوع الذكر، وأما محمد - صلى الله عليه وسلم -؛ فهو الكامل حقا، الذي له الكمال الممكن للمخلوق من رفع الذكر وكثرة الأنصار والأتباع - صلى الله عليه وسلم -.

تأملات السورة

- من لطائف السورة أنها كالمقابِلة لسورة الماعون، وذلك أن الله تعالى وصف المنافق في سورة الماعون بأمور أربعة: (البخل، وترك الصلاة، والمراءاة فيها، والمنع من الزكاة) فجاءت سورة الكوثر متضمنة: (العطاء، والصلاة، والإخلاص، والتصدق).

- يورد في الحوض ويشرب منه يوم العطش الأكبر بحسب ورودهم سنة رسول الله ﷺ وشربهم منها، فمن وردها في هذه الدار وشرب منها وتضلع ورد هناك حوضه وشرب منه وتضلع، فله ﷺ حوضان عظيمان: حوض في الدنيا وهو سنته وما جاء به، وحوض في الآخرة، فالشاربون من هذا الحوض في الدنيا هم الشاربون من حوضه يوم القيامة فشارب ومحروم ومستقل ومستكثر.

- العدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر في قوله: ﴿فصل لربك﴾ دون: فصل لنا، لما في لفظ الرب من الإيماء إلى استحقاقه العبادة لأجل ربوبيته فضلا عن فرط إنعامه.

• إضافة (رب) إلى ضمير المخاطب الكاف في قوله ﴿فصل لربك﴾ ؛ لقصد تشريف النبيء ﷺ وتقريبه، وفيه تعريض بأنه يربه ويرأف به.

• أفادت اللام من قوله (لربك) أنه يخص الله في صلاته فلا يصلي لغيره. ففيه تعريض للمشركين بأنهم يصلون للأصنام بالسجود لها والطواف حولها.

• قوله تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾ في هذا مع ما قبله ربط بين النعم وشكرها، وبين العبادات وموجبها، فكما أعطاه الكوثر فليصل لربه سبحانه ولينحر له.

• {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} إشارة إلى زوال الفقر حتى يقدِرَ على النحر، وقد وقع.

• لما قدَّم الله الصلاة على النحر في قوله: ﴿فصل لربك وانحر﴾، وقدَّم التزكي على الصلاة في قوله: ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى﴾، كانت السنة أن الصدقة قبل الصلاة في عيد الفطر، وأن الذبح بعد الصلاة في عيد النحر.

• قال آخرون في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ﴾ إن المراد به ضع يدك على نحرك، وتكايس غيره وقال المعنى استقبل القبلة بنحرك.

فهضموا معنى هذه الآية التي جمعت بين العبادتين العظيمتين الصلاة والنسك.

• النَّحْر يختصُّ بالإبل، والذَّبح للبقر والغَنَم، لكنه ذَكَر النحر لأن الإبل أنفع من غيرها بالنسبة للمساكين، ولهذا أهداها النبيُّ ﷺ في حَجِّه، أَهْدى مئةَ بعيرٍ، ونَحَرَ منها ثلاثًا وستين بيده، وأعطى عليَّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه الباقيَ فنَحَرَه، وتصدَّق بجميع أجزائها إلا بضعةً واحدةً من كلِّ ناقةٍ، فأخذها، وجُعِلتْ في قِدْرٍ فطَبَخَها، فأكل من لحمها وشَرِبَ من مَرَقِه، وأَمَر بالصدقة حتى بجِلالها وجلودها، عليه الصلاة والسلام.

• الحكمة في تخصيص الإبل بالنحر، هو طول العنق، إذ لو ذبحت لكان مجرى الدم من القلب إلى محل الذبح بعيدا فلا يساعد على إخراج جميع الدم بيسر، بخلاف النحر في المنحر، فإنه يقرب المسافة ويساعد القلب على دفع الدم كله، أما الغنم فالذبح مناسب لها، والعلم عند الله تعالى.

● جيء بوصف الأبتر في الآية لمحاكاة قول القائل محمد أبتر إبطالا لقوله ذلك، وكان عرفهم في وصف الأبتر أنه الذي لاعقب له تعين أن يكون هذا الإبطال ضربا من الأسلوب الحكيم وهو تلقي السامع بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على أن الأحق غير ما عناه من كلامه.

● في الآية محسن الاستخدام التقديري؛ لأنه سوق الإبطال بطريق القصر بقوله: ﴿هو الأبتر﴾ نفي وصف الأبتر عن النبيء ﷺ، ولكن بمعنى غير المعنى الذي عناه شانئه.

● الأبتر حقا ليس من لا عقب له من الذرية، ولكن الأبتر من لا عقب له من الخيرية، فلا تفرح بكثرة الولد، ما لم تحرص على صلاح القول والعمل.

● أهل السنة يموتون ويحيى ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم؛ لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول ﷺ فكان لهم نصيب من قوله: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾، وأهل البدعة شنأوا ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- فكان لهم نصيب من قوله: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾.

- هذه السورة جارية مجرى النكتة المختصرة القوية الوافية بإثبات جميع المقاصد فكانت صغيرة في الصورة كبيرة في المعنى.

الوحدة الموضوعية للسورة

اشتملت السورة الكريمة على منن الله للنبي ﷺ بأنه أعطي الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومنها الكوثر
وأمره بأن يشكر الله على ذلك بالإقبال على العبادة.
وأن ذلك هو الكمال الحق لا ما يتطاول به المشركون على المسلمين بالثروة والنعمة وهم مغضوب عليهم من الله تعالى؛ لأنهم أبغضوا رسوله، وغضب الله بتر لهم إذا كانوا بمحل السخط من الله، فغضب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل هذه السورة دفاعا عنه، وإن انقطاع الولد الذكر فليس بترا؛ لأن ذلك لا أثر له في كمال الإنسان.
فتبين من ذلك أن الوحدة الموضوعية للسورة هي:
منن الله على نبيه صلى الله عليه وسلم.

فوائد الآيات

١- بيان إكرام الله تعالى لرسوله محمد ﷺ.
٢- تأكيد أحاديث الكوثر وأنه نهر في الجنة.
٣- وجوب الإخلاص في العبادات كلها لا سيما الصلاة والنحر.
٤- مشروعية الدعاء على الظالم.
٥- خطورة بغض النبي ﷺ أو شيءٍ مما جاء به.
٦- ضرورة مخالفة المشركين وأهل الجاهلية في سلوكياتهم القبيحة.
٧- وجوب الدفاع عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ونصرة دينه وشريعته.

المسائل

السؤال: ما فضل قراءة سورة الكوثر ؟

الجواب: لم يثبت حديث صحيح مخصوص بفضل قراءة هذه السورة، لكن وردت أحاديث صحيحة في فضل ووصف نهر الكوثر.

السؤال: لماذا قال الله تعالى {إنا أعطيناك} ولم يقل: إنا آتيناك؟

الجواب: هناك فرق كبير بين الإتيان والإعطاء نجمله في مايلي:

أولا: الإتيان يكون للأشياء العظيمة فقط، والعطاء يكون في القليل والكثير.

ثانيا: الإتيان يكون في الأشياء المادية والمعنوية، والعطاء يكون في المادية فقط.

ثالثا: العطاء يقتضي أن يتملك المعطى الشيء ولا يؤخذ منه، أما الإتيان فقد يؤخذ من المؤتى له.

والحمدالله رب العالمين

المراجع

- تفسير الطبري.
- تفسير ابن كثير.
- التحرير والتنوير لابن عاشور.
- نظم الدرر للبقاعي.
- تفسير ابن القيم.
- أضواء البيان للشنقيطي.
- تفسير السعدي.
- تفسير ابن عثيميين.
- أيسر التفاسير للجزائري.
- أسباب النزول للواحدي
- القرآن تدبر وعمل.
- المختصر في التفسير.
- الميسر في غريب القرآن.
- هدايات القرآن الكريم.
- وقفات مع سورة الكوثر لرشيد الذاكر.

¤¤¤¤

أسعد بملاحظاتك ونقدك البناء

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وأسعد بتواصلك على الواتس